الفوائد الدعوية

المستنبطة من

الأمثال النبوية

دراسة دعوية لنماذج مختارة من السنة النبوية المطهرة

إعداد:

د. تركي بن عبد الله بن حمود السكران

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

من ٥١٧ إلى ٥٦٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{١} الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢} الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {٣} مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ {٤} إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {٥} اهدِنَـا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ {٧}

سورة الفاتحة.

المقدمة:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،قال تعالى :" ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١]

"﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾" [٢]

"﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾" [٣]

أما بعد:

فإنَّ الدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والمرسلين، ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين، من العلماء الناصحين، والدعاة الصادقين، قال عزّ وجل مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٤]

والدعوة الحق: دعوةٌ واحدةٌ مستقيمة لا عوج ولا شك ولا شبهة فيها، تستمدَّ قوتها من القوي العزيز، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢)

(٢) سورة النساء الآية (١)

(٣) سورة الاحزاب الآية (٧٠) و(٧١)

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨)

وقد بعث الله سبحانه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاةٌ إلى التوحيد ونبذ الشرك وإخلاص العمل لله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾" [١] ذلك أنّ الفِطَر قد تتغيّر فينحرف بعض الناس إلى عبادة غير الله، أو غير ذلك مما يحرفهم عن فطرتهم ودينهم القويم، فيقعون في الشرك والضلال البعيد.

ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، للدعوة إليه سبحانه، تذكيراً للغافل، وتعليماً للجاهل، ورداً للمبتعد؛وإرشادا للمجتهد، ودعوةً للجميع للرجوع إلى الله سبحانه، ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىَ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىَ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾" [٢]

وقد أرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها وأشاد بوسائلها وطرائقها؛ وما للدعوة إلى الله من أهمية بالغة للوصول إلى الله، ولا يكون هذا الوصول والمعرفة إلا بالعلم بالله عزوجل، و لا يكون هذا العلم إلا بما جاء به الأنبياء والرسل؛ لأنهم خير من دعا إلى الله عزوجل.

ولما كان من وسائل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته ضرب الأمثال؛ لما لها من أثر فاعل في تقريب المراد، وإزالة الإشكال، وغيرها من الفوائد كان اختيار الباحث لموضوع "الفوائد الدعوية المستنبطة من الأمثال النبوية"؛ دراسة دعوية لنماذج من السنة النبوية المطهرة، سائلا الله أن تسد هذه الدراسة نقصاً؛ أو تنفع سائلا، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢١)

أولاً: موضوع الدراسة:

"الفوائد الدعوية المستنبطة من الأمثال النبوية"؛ دراسة دعوية لنماذج من السنة النبوية المطهرة.

ثانياً: تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيس التالي:

ما الفوائد الدعوية المستفادة من الأمثال النبوية؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما مصادر الدعوة الصحيحة؟

٢. ما ضوابط وسائل وأساليب الدعوة إلى الله؟

٣. كيف يمكن الإفادة من الأمثال النبوية في الدعوة إلى الله؟

مالفوائد الدعوية المستنبطة من الأمثال النبوية _ أنموذج الدراسة _ ؟.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١. أن للأمثال مكانة هامة لا تُنكر فائدتها.

٢. أن الأمثال متعلقة بوسيلة من وسائل الدعوة ضربها الله في كتابه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته.

٣. أن للأمثال أثرا واضحا في تأنيس النفس وسرعة قبولها واستحضارها.

٤. أن الأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها:

أ. بيان أهمية الدعوة إلى الله سبحانه وحاجة الناس إليها.

ب. بيان الأسس والمصادر التي تنبني عليها الدعوة الصحيحة.

ج. بيان أهمية الوسائل والأساليب في الدعوة إلى الله سبحانه وأهمية معرفة

الدعاة لها.

د. إيراد نماذج تطبيقية لضرب الأمثال من السنة النبوية، والفوائد الدعوية المستنبطة منها.

خامساً: الدراسات السابقة:

وقف الباحث على جملة من المؤلفات تعنى بالأمثال منها:

١- الأمثال في القرآن، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة الصحابة؛ مصر.

٢- مجمع الأمثال للميداني؛ المؤلف: أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني؛ تحقيق: محمد محيي الدثن عبد الحميد؛ طبعه المطبعه الخيريه، مصر.

٣- الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد المجيد قطامش دار المأمون للتراث -دمشق- الطبعة الأولى- ١٩٨٠م.

كما وقف الباحث على جملة من الدراسات العلمية حول هذا الموضوع، ومن تلك الدراسات:

١. الأمثال النبوية في صحيح البخاري؛ دراسة لغوية دلالية رسالة ماجستير، لهاني طاهر؛ محمد حسين، جامعة النجاح، فلسطين، ١٤٢٥ هـ.

٢. الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك، رسالة ماجستير؛ مروان المحمدي، أم القرى، ١٤٢٨هـ.

٣. الآثار التربوية والدعوية من خلال ضرب الأمثال في القرلآن الكريم، رسالة ماجستير، عبدالله بن شية؛ جامعة الجزائر، ١٤٣٠هـ.

٤. نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث للدكتور: عبدالمجيد محمود عبد المجيد، كلية دار العلوم، القاهرة.

والملاحظة الجامعة حول تلك المؤلفات والدراسات أنهالم تف بخدمة الجانب الدعوي، وبيان الفوائد الدعوية المستنبطة من تلك الأمثال أنموذج الدراسة.

سادسا: منهج البحث والباحث:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهجين: التأصيلي والتحليلي [١].

وفق خطوات بحثية أهمها:

١. **عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية وكتابتها بالرسم العثماني.**

٢. **تخريج الأحاديث، فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، أكتفي بالإشارة إلى موطنها فيهما، وإن كانت في غيرهما فإني أخرجها، وأذكر أقوال أهل العلم في بيان درجتها قدر الإمكان.**

٣. **عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة.**

٤. **عمل الفهارس الفنية اللازمة للدراسة.**

---

(١) انظر: في تعريف هذه المناهج، وضوابطها، وخصائصها: المبحث العلمي، (ص: ٢٢٧ – ٢٧٦)، وأصول البحث العلمي ومناهجه، (ص: ٢٥٣ – ٣٢٩).

سابعا: خطة البحث:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس فنية، وذلك على النحو الآتي:

أما التمهيد: فقد اشتمل على التعريف بمصطلحات الدراسة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفوائد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: تعريف المثل لغة واصطلاحا.

وأما المبحث الأول: ففيه مطلبان:

المطلب الأول: أسس مصادر الدعوة الصحيحة.

المطلب الثاني: أهمية ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله عزوجل.

وأما المبحث الثاني: ففيه مطلبان:

المطلب الأول: المؤلفات في الأمثال النبوية.

المطلب الثاني: وجوب التثبت في رواية الأمثال النبوية.

وأما المبحث الثالث: فهو عبارة عن دراسة تطبيقية لنماذج من الأمثال النبوية اشتملت على فوائد دعوية، واخترت لذلك أربعة أحاديث هي:

الحديث الأول: عن أبي موسى رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ مِن الهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاءَ فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفق عليه؛ واللفظ للبخاري.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه:"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ

وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ..."متفق عليه؛واللفظ البخاري.

الحديث الثالث: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ " متفق عليه.

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه:"إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا..."متفق عليه.

تمهيد: في التعريف بمصطلحات الدراسة:

المطلب الأول تعريف الفوائد لغة واصطلاحا.

أولا: تعريف الفوائد لغة:

الفائدة لغة: جمع فوائد؛ وهي: الزيادة تحصل للإنسان؛ وهي اسم فاعل من قولك: فادت له فائدة من باب باع وأفدته مالا أعطيته؛ وأفدت منه مالا أخذت والفائدة ماستفدت من طريقه مالا من ذهب أوفضة أومملوك أو ماشية وقالوا: استفاد مالا استفادة والجمع: الفوائد.

والفائدة: ما أفاد الله العباد من خير يستفيدونه ويستحدثونه؛ وقد فأدت له من عندنا فائدة؛ ويقال: أفاد فلان خيرا واستفاد؛ وسمي الفؤاد لتفوده أي لتوقده(١).

ثانيا: تعريف الفوائد اصطلاحا:

عرفت الفائدة اصطلاحا بتعريفات متعددة منها:

أن الفائدة: المسألة المترتبة على الفعل من حيث هي كذلك.

وقيل الفائدة: كل نفع ديني أو دنيوي(٢).

ويلاحظ هنا أن الفائدة في المعنيين اللغوي والاصطلاحي لاتخرج عن: النفع العائد للإنسان؛ دينيا كان أم دنيويا.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري؛١٥/١٥٠والمصباح المنير؛ للفيومي؛٢/٤٨٥؛ والعين للفراهيدي؛٨/٧٩؛ وتاج العروس للزبيدي؛٨/١٦٤.

(٢) انظر: سلم المحتاج لمعرفة رموز المنهاج؛ لأحمد الأهدل؛١/٤٢

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحا.

أولا: تعريف الدعوة لغة:

تدور كلمة (الدّعوة) في اللّغة العربية حول معان متعدّدة، ومن تلك المعاني: (الطلب، والسؤال، والدّعاء، والاستمالة، والصيحة، والحثّ).

وهي مصدر للفعل الثّلاثي: (دعا، يدعو، دعوة)[١].

ودعاه: صاح به، ومنه الدّعاء، والأدعية.

والدّعوة: الطّلب، يقال: دعا بالشّيء طلب إحضاره.

ودعا إلى الشّيء: حثّه على قصده.

وتطلق الدّعوة على الدّعاء، إلى أيّ قضية يراد إثباتها، أو الدّفاع عنها، سواء أكانت حقاً أم باطلاً.

كما أنّ لفظ الدّعوة من المترادفات، الذي يستخدم في الخير والشر[٢].

ثانيا: تعريف الدعوة اصطلاحا:

عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – الدّعوة بأنّها:

(الدّعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمّن الدّعوة إلى الشّهادتين، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان وحجّ البيت، والدّعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدّعوة إلى أنّ يعبد العبد ربّه كأنّه يراه) [٣].

ومن المعاصرين من يرى أنّ الدّعوة هي: «حثّ النّاس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر ؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب ، ٢٥٨/١٤ وما بعدها ، مادة: دعا .

(٢) انظر هذه المعاني في: لسان العرب: ١٤ / ٢٥٧ – ٢٦٢ ، مادة: دعا ، معجم مقاييس اللغة: ٢٧٩/٢ ، مادة: دعا، المعجم الوسيط: ٢٨٦/١ ، مادة: دعا وغيرها من معاجم اللغة العربية .

(٣) انظر: مجموع الفتاوي: ١٥ / ١٥٧ – ١٥٨ .

(٤) انظر: هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة لعلي محفوظ: ص ١٧ .

وقيل: « هي تبليغ الإسلام للنّاس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[١].

وبتدقيق النّظر في هذه التّعريفات يتضح أنّها لا تخرج كثيراً عن تعريفات شيخ الإسلام –رحمه الله– وغيره من المعاصرين، الشّمولية للدّعوة فهي لا تخرج عن: (تبليغ دين الله للنّاس، وتعليمه إيّاهم، أمراً بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهياً عن المنكر إذا ظهر فعله).

(١) المدخل إلى علم الدعوة د .محمد البيانوني: ص ١٩ .الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية د . صالح السدلان: ص ٣٢ .

المطلب الثالث: تعريف الأمثال لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الأمثال لغة:

الأمثال في اللغة مفرد: مثل ويراد به: التسوية؛ يقال : هذا مثله ومثله بسكون الثاء وفتحها؛ كما يقال: شبهة وشبه بمعنى.

والعرب تقول: هو مثيل هذا؛ وهم أميثالهم إذا أرادوا التصغير؛ يريدون أن المشبه به حقير؛ كما أن هذا حقير.

والمثل: مايضرب به من الأمثال ؛ومثل الشئ أيضا صفته؛والمثال معروف والجمع: أمثلة؛ ومثل بضمتين ومثلت له كذت تمثيلا: إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها.

والضرْبُ :المثال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ تأثيره.

والمثل، مفرد الأمثال، يدل في اللغة على معنى المثل والنظير[١].

وخلاصة ماتقدم أن المثل: " عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر، ويصوره نحو: الصيف ضيعت اللبن[٢].

(١) الصحاح؛ للجوهري ٩٦/٦؛وتاج العروس ٣٤٢/٣؛ ولسان العرب لابن منظور ٦١١/١٦

(٢) الأمثال من الكتاب والسنة، للترمذي ١٦.

المطلب الثاني: تعريف المثل اصطلاحا:

عرف المثل اصطلاحا بأنه: " نظم من التنزيل يعرض نمطا واضحا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضا لافتا للأنظار ليشبه أو يقارن به سلوك بشري أو فكرة مجردة أو أي معنى من المعاني بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير أولمجرد الاقتداء به أو التنفير منه والابتعاد عنه أوبقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر الآخر"[١].

وعرف المثل في الاصطلاح الادبي بأنه: قول موجز سائر صائب المعنى تشبه به حالة لاحقة بحالة سابقة ؛وهو العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصور موقفا أو حادثة ولتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حالة أخرى مشابهة لها مثل: رب ساع لقاعد"[٢].

والمَثَلُ: قسم من الحكم، يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها، ثمّ يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير."[٣].

وخلاصة ماتقدم أن المثل: حكمة قصيرة قائمة بذاتها تعبر عن حذث أوقصة ذات مدلول خاص؛أثرت في الناس تأثيرا له صدى فتداولته ألسنتهم؛ وهذه الحكمة غالبا مايخمنها السامع ويتصور معناها في الذهن.

(١) ينظر :مباحث في التجويد والق ا رءات والإعجاز العلمي السعودية مكتبة الرشدالرياض ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م – ١

(٢) (البصائر والذخائر؛ للتوحيدي؛ ٨٣/٣

(٣) نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث للدكتور: عبد المجيد محمود، ص:٨٠ بتصرف.

المبحث الاول : الأسس التي تبنى عليها الدعوة الصحيحة:

الأسس: لغة جمع أساس؛ والأساس:القاعدة التي يبنى عليها والأساس أصل كل شيء ومبدؤه.

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩](١).

ولايخرج المعنى الاصطلاحي للأسس عن المعنى اللغوي ؛فالمراد بالأسس كل مايبنى ويقوم عليه غيره.

والمراد بأسس الدعوة: أصولها وقواعدها التى تقوم وتبنى عليها.

ذلك أن أي دعوة لا تقوم على قواعد سليمة، وأسس صحيحة، ومبادئ قويمة تكون دعوة باطلة لا تؤدي إلى خير.

ولابد هنا من بيان أن أسس الدعوة وقواعدها ليست أموراً اجتهادية تترك للعقول البشرية أن تضعها كما تشاء، وإنما هي أحكام شرعية، ومعالم ربانية نص عليها القرآن الكريم، وأوضحتها السنة النبوية، وحملها إلى الناس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمة الصالح.

وبناء على ذلك فإن الأسس الرئيسة للدعوة إلى الله:

١. القرآن الكريم.

٢. السنة النبوية الشريفة.

٣. السيرة النبوية العطرة.

٤. فهم السلف الصالح – رحمهم الله –.

وقد المؤلفون في علم الدعوة أصولا ووسائل وأساليب وصفات الحديث حول هذه

(١) لسان العرب؛ " ١/١٠٥"

الأسس بما يغني ويكفي[١].

والمهم هنا بيان أنه حري بالداعية الاسترشاد بهذه الأسسا في سيره للدعوة إلى الله فلا يصلح لداعية الجهل بها، بل الاستقاء منها عين الصواب والنجاح، إذا أراد أن تكون دعوة على بينة وصراط مستقيم.

(٢) انظر على سبيل المثال: أصول الدعوة؛ د. عبدالكريم زيدان؛المدخل إلى علم الدعوة؛د.محمد البيانوني؛الدعوة؛أ د حمد العمار وغيرها.

المبحث الثاني: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المؤلفات في الأمثال النبوية.

أهتم غير واحد من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين منهم، بتأليفات متعددة حول الأمثال النبوية لما لها من أهمية سبق بيانها؛ ومن تلك المؤلفات:

أمثال القرآن لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

الأمثال السائرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي عَروبة الحراني (٣١٨هـ).

الأمثال من الكتاب والسنة، للحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ).

أمثال الحديث للرامهرمزي (ت٣٦٠هـ).

الأمثال في الحديث النبوي، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ).

أمثال الحديث، لأبي هلال العسكري (ت٣٨٢هـ) . مفقود ..

مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعي (ت٤٥٤هـ).

نظرات فقهية في أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث، لعبد المجيد محمود.

الأمثال في الحديث النبوي الشريف، لمحمد جابر فياض العلواني.

الصحيح المسند في الأمثال والحكم، لعكاشة عبد المنان الطيبي.

وليس المجال هنا مجال التفصيل؛بل مجال ذكر مجمل خشية الإطالة من جهة؛واكتفاء ببسط مثل هذا الموضوع في مواطنه من جهة أخرى.

المطلب الثاني: وجوب التثبت في رواية الأمثال النبوية.

مما يحزن له ويؤسف عليه ما عمَّ وانتشر عند البعض من التساهل في رواية الحديث، وعدم التثبت في صحته، وكثيرا ما نسمع من كثير من الخطباء والوعاظ – فضلا عن غيرهم – من الأحاديث الموضوعة والضعيفة جداً، ومع ذلك يجزمون بنسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ بقولهم: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو: لقوله صلى الله عليه وسلم... وما أشبه ذلك، وهذه شهادة على الرسول بلا علم، وجزم بلا برهان، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من كذب علي متعمدا؛ فليتبوأ مقعده من النار »، فعمَّت الأحاديث الموضوعة والضعيفة بين العوام؛ لكثرة سماعهم لها من الخطباء والوعاظ، والله جلّ وعلا أمر بالتثبت في الأخبار الجارية بين الناس؛ فكيف بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قوله تشريع وفعله تشريع ؟!

والبعض الآخر يذكر الحديث وينسبه للنبي، ولا يعلم من خرجه ولا صحته، فإذا أردت أن تستفهم منه أو تسأله: من رواه ؟ وما صحته ؟ أجابك مبادراً رافعاً رأسه: لا يضر جهالة صحته، هذا من فضائل الأعمال.

ولو فرضنا أنها من فضائل الأعمال؛ فالأحاديث الموضوعة لا يجوز ذكرها إلا مع بيان أنها موضوعة لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فبسبب هذا التساهل توصل أهل البدع إلى بث بدعهم ونشرها بين الناس؛ بحجة أنها أحاديث فضائل لا بأس بالعمل بها، متناسين أنهم بذلك يشرعون للناس بها؛ لأنهم سيعملون بها ويبلغونها غيرهم. تواتر[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «

---

(١) الصحيح في المتواتر أنه ما ليس له عدد محصور فقد يحصل التواتر بعشرة وأكثر وقد يحصل بأقل من ذلك وقد حصره بعضهم بعدد معين وشرطوا في ذلك ألا يقل عن أربعة وقال بعضهم ألا يقل عن ثلاثة وهذه أقوال لا دليل عليها ولا وجه لها من النظر.

قال الإمام السجزي في رسالته لأهل زبيد (١٨٧): «وقد اتفق أكثر الأصوليين على أن المتواتر ليس له عدد محصور، وليس المراد بذلك أنهم يخرجون الكثرة عن الحصر، وإنما المراد أنه لا يحصر بأن الذي يوجب العلم ما

من كذب علي متعمدا؛ فليتبوأ مقعده من النار ».رواه الشيخان وغيرهما من رواية عدة من الصحابة رضي الله عنهم.

ومن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم: الجزم بالأحاديث الضعيفة أنه قالها، كأن يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم... وما أشبه ذلك؛ فإن هذا لا يجوز لأن الحديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكان الواجب عليك أن تقول: يُروى أو يحكى... وما أشبه هذه الصيغ من صيغ التمريض، ولكن لما قلت عظمة الله وعظمة رسوله من قلوب كثير من الناس، تساهلوا في رواية الأحاديث الموضوعة والضعيفة جدّاً، ونسبوها إلى النبي صلى الله وسلم جازمين بها.

فكثيرا ما نسمع الخطباء والوعاظ وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله امرأ كف الغيبة عن نفسه »، فإذا سألته عن هذا الحديث: من رواه ؟ فإذا هو لا يدري ! وما صحته ؟ فكذلك لا يدري ! إنما يجيبك أنه قرأه في الكتاب الفلاني[1].

والحديث المشار إليه موضوع لا يصح، ومن نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فعليه الوعيد الشديد، « وليتبوأ مقعده من النار ».

ولله در شيخ الإسلام ؛ حيث يقول في «الفتاوى» (٣/٤٢٥) «وكذلك مما حرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله ما لا يعلم؛ مثل: أن يروي عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها».

نقله اثنان أو ثلاثة أو عشرة بل ننظر إلى وقوع العلم به وانتفاء الظن عنه فربما حصل ذلك بمائة أو أكثر وربما حصل بأربعة أو أقل...».

وهذا الحق فليس مع من حصر المتواتر بعدد برهان فقد يحصل التواتر بثلاثة وأقل إذا احتفت بذلك قرائن.

(٢) إذا كان صاحب الكتاب اشترط الصحة، وهو ممن يعتمد عليه في التصحيح والتضعيف؛ فيجوز الاعتماد عليه في النقل كصاحبي الصحيحين البخاري ومسلم، وأما إذا كان صاحب الكتاب من المتساهلين في نقل الأحاديث، بل ينقل =كل شيء وجده في الكتب، سواء كان ضعيفاً أو صحيحاً أو موضوعاً فهذا لا يجوز الاعتماد عليه إلا بعد التثبت والبحث، والله أعلم.

فإذا كان من يروي الأحاديث وهو لا يعلم صحتها من القائلين على الله بلا علم، فكيف بالذين يعلمون أنها ليست عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟! فهؤلاء ماذا يكون حالهم ؟! أضف إلى ذلك أنها قد تكون معارضة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله (٢٠/١) «أحكام أهل الذمة»: «وهكذا لا يسوغ أن يقول: قال رسول الله، لما لا يعلم صحته ولا ثقة رواته، بل إذا رأي أي حديث كان في أي كتاب؛ يقول: « لقوله صلى الله عليه وسلم »، أو: «لنا قوله صلى الله عليه وسلم »، وهذا خطر عظيم، وشهادة على الرسول بما لا يعلم الشاهد».

والواجب على كل طالب علم وواعظ وخطيب: أن يتثبت إذا أراد أن ينسب حديثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وليبحث في كتب أهل العلم؛ فإنهم خلفوا لنا علما كثيرا، خصوصا في علم الحديث، وصنفوا المصنفات في الصحاح والضعاف.

وما أحسن ما ذكره الهروي في «ذم الكلام»:« عن عبد الله بن المبارك: أنه ضلّ في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه أن من ضل في مفازة، فنادى: عباد الله ! أعينوني. أعين. قال: فجعلت أطلب الجزء أنظر إسناده».

قال الهروي: «فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرى إسناده».

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتثبتون في الرواية عن رسول الله، حتى إن بعضهم يدع الجزم بالحديث عن النبي تورعاً واحتياطاً [١].

(١) الإعلام بوجوب التثبت في رواية الحديث وحكم العمل بالحديث الضعيف للدكتور: سليمان بن ناصر العلوان ص: ٤-١١. بتصرف.

المبحث الثالث:

دراسة تطبيقية لنماذج من الأمثال النبوية التي اشتملت على فوائد دعوية

الحديث الأول:

قال الإمام البخاري رحمه الله:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، عَن بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِالله، عَن أَبِي بُرْدَةَ، عَن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله مِن الهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاءَ فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

[رواه الشيخان، واللفظ للبخاري]

بيان غريب الحديث

(مَثَل): بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَة وَالْمُرَاد بِهِ الصِّفَة الْعَجِيبَة لَا الْقَوْل السَّائِر.

(الهُدَىٰ): أَيْ: الدَّلَالَة الْمُوَصِّلَة إِلَى الْمَطْلُوب.

(الْعِلْم): الْمُرَاد بِهِ مَعْرِفَة الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة.

(الْغَيْث): الْمَطَر.

(نَقِيَّة): طَيِّبَة.

(قَبِلَتْ): بِفَتْحِ الْقَاف وَكَسْر الْمُوَحَّدَة مِن الْقَبُول.

(الْكَلَأ): بِالْهَمْزَةِ بِلَا مَدّ، يَقَعُ عَلَى الْيَابِس وَالرَّطْب، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ وَابْن فَارِس: الْكَلَأ يَقَعُ عَلَى الْيَابِس، وَهَذَا شَاذٌّ ضَعِيفٌ.

(وَالْعُشْب): هُوَ مِن ذِكْر الْخَاصّ بَعْد الْعَامّ ؛ لِأَنَّ الْكَلَأ يُطْلَق عَلَى النَّبْت الرَّطْب وَالْيَابِس مَعًا، وَالْعُشْب لِلرَّطْبِ فَقَطْ.

وقال النووي: وَأَمَّا (الْعُشْب وَالْكَلَأ وَالْخَشِيش): فَكُلّهَا أَسْمَاء لِلنَّبَاتِ، لَكِنَّ

الْحَشِيش مُخْتَصّ بِالْيَابِسِ، وَالْعُشْب وَالْكَلَأ – مَقْصُورًا – مُخْتَصَّانِ بِالرَّطْبِ.

(الْأَجَادِب): بِالْجِيمِ وَالدَّال الْمُهْمَلَة، وَهِيَ الْأَرْض الَّتِي تُنْبِتُ كَلَأً. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هِيَ الْأَرْض الَّتِي تُمْسِكُ الْمَاء، فَلَا يُسْرِعُ فِيهِ النُّضُوب.

(وَزَرَعُوا): كَذَا لَهُ بِزِيَادَةِ زَاي مِن الزَّرْع، وَلِمُسْلِمٍ وَالنَّسَائِيّ وَغَيْرِهِمَا عَن أَبِي كُرَيْب: «وَرَعَوْا» بِغَيْرِ زَاي مِن الرَّعْي، قَالَ النَّوَوِيّ. كِلَاهُمَا صَحِيح.

(وَسَقَوْا): قَالَ أَهْل اللُّغَة: سَقَى وَأَسْقَى بِمَعْنًى لُغَتَانِ، وَقِيلَ: سَقَاهُ نَاوَلَهُ لِيَشْرَب، وَأَسْقَاهُ جَعَلَ لَهُ سَقْيًا.

(وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً): أَيْ: الْمَاء. وَلِلْأَصِيلِيّ وَكَرِيمَة أَصَابَتْ أَيْ: طَائِفَة أُخْرَى. وَوَقَعَ كَذَلِكَ صَرِيحًا عِنْد النَّسَائِيّ. وَالْمُرَاد بِالطَّائِفَةِ الْقِطْعَة.

(قِيعَان): بِكَسْرِ الْقَاف جَمْع قَاع، وَهُوَ الْأَرْض الْمُسْتَوِيَة الْمَلْسَاء الَّتِي لَا تُنْبِت.

(فَقُهَ): بِضَمِّ الْقَاف أَيْ صَارَ فَقِيهًا.

وقال النووي: وَأَمَّا الْفِقْهُ فِي اللُّغَة يُقَالُ مِنْهُ: فَقِهَ – بِكَسْرِ الْقَافِ يَفْقَهُ فقَهًا بِفَتْحِهَا كَفَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا، وَقِيلَ: الْمَصْدَرُ فِقْهًا بِإِسْكَانِ الْقَاف. وَأَمَّا الْفِقْهُ الشَّرْعِيُّ فَقَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ وَالْهَرَوِيّ وَغَيْرهمَا: يُقَال مِنْهُ فَقُهَ بِضَمِّ الْقَاف. وَقَالَ اِبْن دُرَيْد: بِكَسْرِهَا كَالْأَوَّلِ. وَالْمُرَاد بِقَوْلِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَقُهَ فِي دِين الله) هَذَا الثَّانِي فَيَكُونُ مَضْمُومَ الْقَاف عَلَى الْمَشْهُور، وَعَلَى قَوْل اِبْن دُرَيْد بِكَسْرِهَا، وَقَدْ رُوِيَ بِالْوَجْهَيْنِ، وَالْمَشْهُور الضَّمّ[1].

(والفقه): الفهم، يقول ابن الأثير: «والفقه في الأصل: الفهم، واشتقاقه من الشق والفتح، يقال: فقِه الرجل– بالكسر– يفقه فِقهاً: إذا فهِم وعلِم، وفقُه – بالضم – يفقُه: إذا صار فقيهًا وعالماً، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصًا بعلم الفروع منها[2].

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ١/١٧٦–١٧٧، وشرح مسلم للنووي، (المجلد الخامس)، ١٥/٤٦–٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣/٤٦٥.

فنقول: والمراد في الحديث: الفهم في دين الله، ولا ينصرف لفقه الحلال والحرام فقط، بل يتضمن فقه العقيدة، والأخلاق، والآداب، والتفسير، وغيرها.

بيان وجه التمثيل في هذا الحديث:

إنّ الحديث الذي بين أيدينا بيّن فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث بالعلم والهدى من عند الله تبارك وتعالى إلى الثقلين كافة من الجن والإنس، وشريعته عامة للجميع، كما أنها نعمة ورحمة للبشرية، ويعم نفعها لكل أصناف البشر، ولكن الناس في الاستفادة من علمه وهديه يتفاوتون، فقد ضرب لهذا بمثل رائع من نزول المطر على الأرض، ومن ثم الانتفاع به، وقد شرح النووي هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم فيقول: «أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث وَمَقْصُوده فَهُوَ تَمْثِيل الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَيْثِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْض ثَلَاثَة أَنْوَاع، وَكَذَلِكَ النَّاس. فَالنَّوْع الْأَوَّل مِن الْأَرْض يَنْتَفِع بِالْمَطَرِ فَيَحْيَى بَعْد أَنْ كَانَ مَيِّتًا، وَيُنْبِتُ الْكَلَأ، فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ وَالزَّرْع وَغَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْع الْأَوَّل مِن النَّاس، يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْم فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبه، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُعَلِّمُهُ غَيْره، فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ. وَالنَّوْع الثَّانِي مِن الْأَرْض مَا لَا تَقْبَلُ الِانْتِفَاع فِي نَفْسهَا، لَكِنْ فِيهَا فَائِدَة، وَهِيَ إِمْسَاك الْمَاء لِغَيْرِهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ، وَكَذَا النَّوْع الثَّانِي مِن النَّاس، لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَام ثَاقِبَة، وَلَا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْل يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِي وَالْأَحْكَام، وَلَيْسَ عِنْدهمْ اِجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَة وَالْعَمَل بِهِ، فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدهمْ مِن الْعِلْم، أَهْل لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاع، فَيَأْخُذهُ مِنْهُمْ، فَيَنْتَفِع بِهِ، فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ. وَالنَّوْع الثَّالِث مِن الْأَرْض السِّبَاخ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوهَا، فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ، وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس، لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، وَلَا أَفْهَام وَاعِيَة، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْم لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرهمْ. وَالله أَعْلَم»[1].

وقال ابن حجر:

---

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي، (المجلد الخامس)، ١٥/٤٧-٤٨.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: ضَرَبَ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِن الدِّين مَثَلًا بِالْغَيْثِ الْعَامّ الَّذِي يَأْتِي فِي حَال حَاجَتهمْ إِلَيْهِ، وَكَذَا كَانَ النَّاس قَبْل مَبْعَثه، فَكَمَا أَنَّ الْغَيْث يُحْيِي الْبَلَد الْمَيِّت فَكَذَا عُلُوم الدِّين تُحْيِي الْقَلْب الْمَيِّت. ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالْأَرْضِ الْمُخْتَلِفَة الَّتِي يَنْزِل بِهَا الْغَيْث، فَمِنْهُم الْعَالِم الْعَامِل الْمُعَلِّم. فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الطَّيِّبَة شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ فِي نَفْسهَا وَأَنْبَتَتْ فَنَفَعَتْ غَيْرهَا. وَمِنْهُم الْجَامِع لِلْعِلْمِ الْمُسْتَغْرِق لِزَمَانِهِ فِيهِ غَيْر أَنَّهُ لَمْ يَعْمَل بِنَوَافِلِهِ أَوْ لَمْ يَتَفَقَّه فِيمَا جَمَعَ لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض الَّتِي يَسْتَقِرّ فِيهَا الْمَاء فَيَنْتَفِع النَّاس بِهِ، وَهُوَ الْمُشَار إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «نَضَّرَ الله اِمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا »(١). وَمِنْهُمْ مَن يَسْمَع الْعِلْم فَلَا يَحْفَظهُ وَلَا يَعْمَل بِهِ وَلَا يَنْقُلهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْض السَّبْخَة أَوْ الْمَلْسَاء الَّتِي لَا تَقْبَل الْمَاء أَوْ تُفْسِدهُ عَلَى غَيْرهَا. وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَثَل بَيْن الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ الْمَحْمُودَتَيْنِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الِانْتِفَاع بِهِمَا، وَأَفْرَدَ الطَّائِفَة الثَّالِثَة الْمَذْمُومَة لِعَدَمِ النَّفْع بِهَا. وَالله أَعْلَم.

وَقَالَ الطِّيبِيّ: بَقِيَ مِن أَقْسَام النَّاس قِسْمَانِ: أَحَدهمَا الَّذِي اِنْتَفَعَ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسه وَلَمْ يُعَلِّمهُ غَيْره، وَالثَّانِي مَن لَمْ يَنْتَفِع بِهِ فِي نَفْسه وَعَلَّمَهُ غَيْره. قُلْت: وَالْأَوَّل دَاخِل فِي الْأَوَّل لِأَنَّ النَّفْع حَصَلَ فِي الْجُمْلَة وَإِنْ تَفَاوَتَتْ مَرَاتِبه، وَكَذَلِكَ مَا تُنْبِتهُ الْأَرْض، فَمِنْهُ مَا يَنْتَفِع النَّاس بِهِ وَمِنْهُ مَا يَصِير هَشِيمًا. وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنْ كَانَ عَمِلَ الْفَرَائِض وَأَهْمَلَ النَّوَافِل فَقَدْ دَخَلَ فِي الثَّانِي كَمَا قَرَّرْنَاهُ، وَإِنْ تَرَكَ الْفَرَائِض أَيْضًا فَهُوَ فَاسِق لَا يَجُوز الْأَخْذ عَنْهُ، وَلَعَلَّهُ يَدْخُل فِي عُمُوم: «مَنْ لَمْ يَرْفَع بِذَلِكَ رَأْسًا » وَالله أَعْلَم(٢).

فلا بد للاهتداء من محل قابل، فإذا لم تكن في المحل صلاحية لا يستفيد الإنسان

---

(١) أخرجه أبوداود في العلم برقم (٣٦٦٠)، باب فضل نشر العلم، والترمذي في العلم، برقم (٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجه في المقدمة برقم (٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦)، باب من بلّغ علمًا، وفي المناسك، باب الخطبة يوم النحر برقم (٣٠٥٦)، وأحمد عن ابن مسعود برقم (٤١٤٦)، وأنس بن مالك برقم (١٢٩٣٧)، وجبير بن مطعم برقم (١٤٢٩٤، ١٤٣١٢)، وزيد بن ثابت برقم (٢١٠٨٠).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ١/١٧٧.

من آيات الكتاب والسنة، ولذا قيد الله تعالى في القرآن لهدايته بقيود وقد أشار إلى بعضها الشيخ السعدي رحمه الله فيقول: «وقيد هدايته في بعض الآيات بعدة قيود: قيد هدايته بأنه هدى للمؤمنين، المتقين، لقوم يعقلون، ويتفكرون، ولمن قصده الحق، وهذا بيان منه تعالى لشرط هدايته، وهو أن المحل لا بد أن يكون قابلاً وعاملاً، فلا بد لهدايته من عقل وتفكير وتدبر لآياته، فالمعرض الذي لا يتفكر ولا يتدبّر آياته لا ينتفع به، ومن ليس قصده الحق ولا غرض له في الرشاد، بل قصده فاسد، وقد وطّن نفسه على مقاومته ومعارضته، ليس له من هدايته نصيب، فالأول حرم هدايته لفقد الشرط، والثاني لوجود المانع، فأما من أقبل عليه وتفكر في معانيه وتدبرها بحسن فهم وحسن قصد، وسلم من الهوى، فإنه يهتدي به إلى كل مطلوب، وينال به كل غاية جليلة ومرغوب»[(١)].

وهكذا سنّة النبي صلى الله عليه وسلم يستفيد منها من كان فيه خير، فقد بينه بأسلوب شيق وبكلام جذاب، فحري بالمعلم عامةً وبطالب العلم خاصةً أن يطلب العلم، ويتفقه فيه، ويعمل به، ويعلمه غيره[(٢)].

الفوائد الدعوية المستفادة من هذاالحديث:

١- سنّة النبي صلى الله عليه وسلم يستفيد منها من كان فيه خير، فقد بينه بأسلوب شيق وبكلام جذاب، فحري بالمعلم عامةً وبطالب العلم خاصةً أن يطلب العلم، ويتفقه فيه، ويعمل به، ويعلمه غيره.

٢- الأمثال لها تأثير بالغ على الإنسان؛ لذا نرى في الكتاب والسنة كثيرا ما يستشهد بها، ويستفاد منها في أمور كثيرة: في التذكير، والنصح، والوعظ، والحث، والترغيب، والترهيب، والتعليم، والتربية، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة

(١) كتاب: فوائد قرآنية للسعدي، ص:٨.

(٢) سيأتي إن شاء الله مزيد شرحٍ وبسطٍ لهذه النقطة في الوقفة الخامسة.

الذهن فيها بالحواس.

٣- دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى جميع أحكام الدين، فقد دعا الناس من الكفر إلى الإسلام، ومن الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الميل إلى الاستقامة، ومن المفضول إلى الفاضل، وإن كان الأصل: الدعوة من الكفر إلى الإسلام. وقد بعثه الله لذلك كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٤- ذكر الحديث العظيم مراتب الدين، فالدعوة إلى الإسلام تعني الدعوة إلى الدين في اتباع جميع أوامره وأحكامه وشرائعه واجتناب نواهيه.

٥- إن للدعوة أهدافاً سامية، تتجلى من خلال دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يجوز الحيدة والانصراف عنها، كما يجب على المسلم الواعي أن يتصورها ويعيها، ويجددها بين الحين والآخر حتى لا تزل به قدم، ولا ينجرف مع هوى، أو يطغى عليه مصلحة دنيوية، أو ينحرف قصده.

٦- أنه يمكن للداعية أن يجعل له أهدافًا عامةَ يصوغ تحتها أهدافًا خاصةً تندرج تحتها، مثل: أن يكون هدفه دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. فيعمل الوسائل المناسبة لها.

٧- أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمةً للعالمين كافةً. وكان حريصًا على المؤمنين رؤوفاً رحيماً بهم. وأن الاستفادة من شريعته على قدر صلاح الإنسان، وطيب أصله، وشرف أرومته. وأن الناس من حيث استفادتهم على ثلاثة أنواع:

- النَّوْع الْأَوَّل مِن النَّاس؛ من يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلّمه غيره، فينتفع وينفع، وهؤلاء أعلا الناس منزلةً في الدنيا

والآخرة.

• النَّوْع الثَّانِي مِن النَّاس؛ لهم قلوب حافظة، لكِن لَيست لهم أفهام ثَاقبة، ولا رسوخ لهم فِي العقل يستنبطون به المعاني والأَحْكام، ولَيس عندهم اجْتهادٌ فِي الطَّاعة والْعمل به، فهم يحْفظونه حتَّى يأتي طَالِبٌ محْتاج مُتَعَطِّشٌ لِما عندهم من الْعلم، أَهل للنَّفْع والانتفاع، فيأْخذه منهم، فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بِما بلغهم.

• النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس؛ ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم.

الحديث الثاني:

قال الإمام البخاري رحمه الله:

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ﴿ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ﴾"(١).

بيان وجه التمثيل في هذا الحديث:

يشبه النبي صلى الله عليه وسلم –إرسال سبحانه وتعالى الأنبياء وبعثته الرسل في التناسق والتتابع والاجتماع في أصل التوحيد، والتطابق في الهدف قال تعالى:﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾(٢) ، منذ آدم عليه السلام إلى قبيل بعثته صلى الله عليه وسلم–، برجل بنى بيتاً لَمَّا يَكتمل، أُودعَ فيه من الإبداع والتجميل والتنسيق، ما يروع الناظر وينتزع إعجاب المتأمل غير أن هذا الإعجاب لم يتم بسبب النقص الحاصل فيه من اللبنة الناقصة، مما حمل الناظر والمعجب

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب المناقب (باب خاتم النبيين)، (ح٣٥٣٥/٤/١٨٦)،واللفظ للبخاري، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، (في الفضائل: باب ذكر كونه – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين)(ح٦١٠٣/٧/٦٥)، وأخرجه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، (ح١٤٩٣٠–١٤٩٣١–٧٤٧٩/٢–٣/٣٥٦–٣١٢–٣٩٨–٤١١–٣٦١)، وأخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله في (باب ما جاء في مثل النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله)، (ح٢٨٦٢/٥/١٤٧)،قال وفي الباب عن أبي بن كعب و أبي هريرة، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة، (ذكر تمثيل المصطفى صلى الله عليه وسلم)، والبيهقي في السنن الكبرى من حديث جابر في (مبتدأ الخلق)(ح١٧٤٩٤/٩/٥).

(٢) سورة النحل الآية ٣٦

بالبناء يتمنى إكماله، يستحثُ التمام للبناء فلما اكتمل البناء كمل الإعجاب.

قال أبو محمد الرامهرمزي–رحمه الله–[١]: "هذا مثلُ نبوته صلى الله عليه وسلم، وأنه خاتم الأنبياء، وبه تتم حجة الله عز وجل على خلقه، ومثل ذلك بالبنيان الذي يشد بعضه بعضا، وهو ناقص الكمال بنقصان بعضه، فأكمل الله به دينه، وختم به وحيه، والعرب تمثل ما يبالغون فيه من الوثاقة والأصالة وعقدة المكارم والمفاخر وأشباه ذلك بالبنيان قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [٢] يعني: لا يزول ولا يتخلخل، وأخبر أنه بنى السماء فرفع سمكها، وهو بناءُ القدرة[٣] لا إن ثم شيئا من آلة الصَّنْعَةِ، قال عبدة بن الطيب يذكر قيس بن عاصم: [البحر الطويل]

فما كان قيس هلكه هلك واحد... ولكنه بنيان قوم تهدما

إن هذا الحديث جاء ليؤكد أمرين:

أولهما: وحدة الأنبياء، وبالتالي وحدة دعوتهم وهي دعوة التوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٤]النحل: ٣٦، وهذا الأمر –وحدة الأنبياء– فيفيده التشبيه بالدار، كما قال أبو محمد الرامهرمزي: إن العرب تمثل ما يبالغون فيه من الوثاقة والأصالة... وأشباه ذلك بالبنيان﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ " [٥]

ثانيهما: أن الحاجة كانت ماسة إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر النبيين فلا نبي بعده، فيتضح من استعراض حالة الأمم والشعوب قبل البعثة وما كانت

---

(١) انظر كتاب أمثال الحديث للرامهرمزي، ص: ٢٦–٢٧.

(٢) سورة الصف الآية (٤)

(٣) قوله رحمه الله:" هو بناءُ قدرة " هذا تأويل من المصنف رحمه الله، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في إمرار الصفات كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(٤) سورة النحل الآية (٣٦)

(٥) سورة الصف الآية (٤)

تعانيه البشرية من الجهل والبغي والظلم والشقاء، وتوقع كثير من أهل الكتاب أن يبعث النبي المنتظر، واستشرف فريق من العرب وأهل الكتاب إلى أن يكون هو النبي المختار.

والأديان السابقة كانت محدودة المكان والزمان، ولذا ما كان ينتهي عصر النبي منهم حتى تجدد الحاجة إلى نبي غيره، أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فدعوته عامة إلى الناس أجمعين، بل شملت دعوته الإنس والجن" وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "(١).

الفوائد الدعوية المستفادة من هذا الحديث:

١- وجوب اعتصام الدعاة بعقيدة التوحيد لأن الأنبياء اعتصموا ودعوا إليها.

٢- حاجة الدعاة للوحدة في العمل على وفق المنهج الصحيح.

٣- أن الدعوة مبنية على الاجتماع والألفة.

٤- حاجة الدعاة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- إنشاد الدعاة الأحسن والأكمل في طرائق الدعوة وأساليبها ووسائلها.

٦- طريق الدعوة يعتريه النقص والعثرات.

٧- استفادة الدعاة من ملاحظة وتقويم غيرهم لهم.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبدالله في (كتاب التيمم)(ح٣٣٥/٢/٨٧)، وأخرجه النسائي في (باب التيمم بالصعيد)(ح٤٣٥/٢/٢١١)، وأخرجه البيهقي في (باب التيمم بالصعيد)(ح١٠١٧/١/٣٢٦)،وأخرجه ابن أبي شيبة في (باب ما أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم)(ح٣٢٢٩٩/١١/٤٣٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في (ذكر الخصال التي فضل صلى الله عليه وسلم)(ح٦٣٩٨/١٤/٣٠٨).

الحديث الثالث:

قال الإمام مسلم رحمه الله:

حدثنا عبد الله بن براد الأشعري وأبو كريب – واللفظ لأبي كريب – قالا حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ﴿ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ﴾[1].

بيان غريب الحديث:

"بِعَيْنَيَّ ": رويت هذه الكلمة بالإفراد، أي بكسر النون وسكون الياء، ورويت بالتثنية، أي بفتح النون وتشديد الياء المفتوحة، ورويتها أكثر مناسبة لتأكيد الرؤية.

قال أبو محمد الرمهرمزي –رحمه الله–: سمعت أبي يقول: النذير العريان الذي قد ظهر صدقه ولا أدري عمن حكاه وإلى من أسنده، إلا أني سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السري يقول: عري الأمر إذا ظهر، ويقال: الحق عار أي ظاهر مشرق مشرف، كما قيل: الحق أبلج من بلجة الصبح. قال فند الزماني: [البحر الهزج]

فلما صرح الشـــر ✻✻✻✻ فأمسـى وهو عريان

مشينا مشية الليث ✻✻✻✻ غدا والليث غضبان

و"طَائِفَةٌ": من كل شيء قطعة منه، تقول: طائفة من القوم، وطائفة من الليل، وأدنى ما يقع اسم الطائفة واحد، وهذا القول للشافعي رحمه الله في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٦٠٩٤/٧/٦٣).

(٢) سورة التوبة الآية (١٢٢)

وقد قال ذلك غير الشافعي، والنذير بمعنى المنذر.وقوله: "فَأَدْلَجُوا "، الإدلاج من أول الليل، تقول من ذلك: أدلج يدلج إدلاجا، والادلاج – بتشديد الدال – من آخر الليل، تقول منه: ادلج يدلج ادلاجا واسمه الدلجة وهذا الحديث في المعنى قريب من معنى الحديث الذي قبله[١].

قوله: " أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ": معناه أن الربيئة الذي يرقب العدو، فإذا لقي العدو، نزع ثوبه، فألاح به ينذر القوم، فيبقى عريانا، أو نزع ثوبه يعدو، فيخبر القوم، وخص العريان، لأنه أبين في العين.

وقوله: " فَأَدْلَجُوا ": الإدلاج بالتخفيف: سير أول الليل، وبالتشديد: سير آخر الليل.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اجْتَاحَهُمْ"، أي: استأصلهم، ومنه الجائحة التي تفسد الثمار وتهلكها[٢].

قال الإمام النووي –رحمه الله–:"...(فَالنَّجَاءَ)[٣] أي: انجوا النجاء أو اطلبوا النجاء(عَلَى مُهْلَتِهِمْ)[٤] هكذا هو في جميع نسخ مسلم (اجْتَاحَهُمْ) استأصلهم"[٥].

بيان وجه التمثيل في هذا الحديث:

شبه الرسول –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث بعثته إلى الناس، واختلافهم في الاستجابة لدعوته ما بين مؤمن به وكافر وعاقبة كلٍّ، بحالِ رجلٍ خطراً عظيماً يهدد

---

(١) انظر أمثال الحديث لإمام الرامهرمزي، (ح١٠/٤٦–٤٨) بتصرف.

(٢) انظر شرح السنة الإمام البغوي، (باب الاعتصام بالكتاب والسنة)(ح٩٥/١/١٩٤–١٩٥).

(٣) في رواية البخاري مكررة مرتين، أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق)(باب الانتهاء عن المعاصي)،(ح٦٤٨٢/٤/٩٩).

(٤) بضم الميم وسكون الهاء وبتاء بعد اللام، هكذا في رواية مسلم، وفي رواية البخاري (على مَهَلهم) بفتح الميم والهاء وحذف التاء، والمعنى بهدوء وسكينة.

(٥) انظر شرح صحيح مسلم الإمام النووي، (باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته)(ح٢٢٨٣/٤/١٧٨٨) بتصرف.

قومه، فأسرع لإنذارهم، وحرصاً على نجاتهم وإحساساً بضيق الوقت وإمعاناً في المبالغة في إيقاظهم– بادر فخلع ثيابه ملوحاً بها إليهم، حتى يقتنصوا الفرصة، فيأمنوا من أن يأخذوا على غرة، فنجا مَنْ صدقه، وهلك مَنْ كذبه.

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً شائعاً عند العرب في بيئتهم، ليقرب للأفهام ما جاء به من الحق بعبارة (أنا النذير العريان)[١]، حيث أن العرب كانت تضرب المثل به في تحقيق الخبر وصدق من حمله، إذ لا يتعرى إلا لسبب يقتضيه، إذ ليس العري الحال الطبيعي للإنسان، وقد كان من عادة العرب إذا أرادوا التهويل في الإنذار أن يغيروا من حال لبسهم وهيئاتهم، بل قد يصل الأمر إلى درجة الْمُثْلة، حيث يقطعون بعض أعضائهم أو أعضاء الحيوانات مبالغة في الإنذار، وقد روي في كتب السير كيف أن أبا سفيان حين خشي على قافلته من المسلمين في غزوة بدر، "...فخرجوا خائفين الرّصد، وبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام – وكانوا قد مروا به وهو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالا – وأمره أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أن يخبر قريشا أن محمدا قد عرض لعيرهم، وأمره أن يجدّع بعيره إذا دخل مكة، ويحول رحلة، ويشق قميصه من قبله ودبره، ويصيح: الغوث الغوث..."[٢].

ويلفت النظر في هذا الحديث العظيم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– اقتصر على توضيح جانب الإنذار، دون عنصر التبشير، مع أنه الصورة المقابلة للإنذر

ولعل الاقتصار على الإنذار كان من خصائص المرحلة الأولى للدعوة.

ومن هنا فإن البشرية إذا ابتعدت عن الوحي المنزل على الرسول الأكرم؛ ضلت وتاهت في غياهب المحن ولم تعرف ربها، إذا بالوحي يستقيم شأن الفرد والمجتمع، فكانت

---

(١) قال ابن بطال في شرحه على البخاري:" والنذير العريان: رجل من خثعم حمل عليه يوم ذي الخَلصة فقطع يده ويد امرأته، فرجع إلى قومه، فضرب – عليه السلام – المثل لأمته لأنه تجرّد لإنذارهم (باب: الانتهاء عن المعاصي)(١٠/١٩٤–١٩٥).

(٢) انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال،(١/٨٥).

البشرية أحوج إلى الإنذار والإعلام والتخويف من المخاطر والمهلكات التي تتربص بها ما لم تفئ إلى الله.

الفوائد الدعوية المستفادة من هذاالحديث:

١. شفقة النبي –صلى الله عليه وسلم– بالناس نصحاً وخوفاً عليهم وكمال النصح، وكذلك يجب على الداعية إلى الله.

٢. اختلاف أحوال الناس في الاستجابة يوجب على الداعية سلوك أحسن السبل لإيصال الخير لهم.

٣. على الداعية استخدام الوسائل والأساليب التي تقرب فهم الشرع للمدعو كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم من ضرب المثل الشائع عند العرب ب (النذير العريان).

٤. قد يقتصر الداعية أحيانا في دعوته على جانب البِشَارَة أو النِذَارة إذا دعت الحاجة بالنظر إلى حال المدعو، فقد اقتصر –النبي صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث على النِذَارة.

٥. حاجة الناس للدعاة لتبليغهم دين الله بِشَارةً ونِذَارَةً.

٦. ليس من شرط الداعية استجابة الناس كلهم له، فقد يأتي النبي وليس معه أحد ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان...

٧. يجب على الداعية أن تكون له وضوح الرؤية والفهم للأمور، ورؤية واضحة لقراءة أحوال المدعوين.

الحديث الرابع:

قال الإمام البخاري رحمه الله:

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن أنه حدثه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ﴿ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا﴾ (١).

بيان غريب الحديث:

قال أبو محمد الرامهرمزي –رحمه الله–: "اسْتَوْقَدَ" بمعنى أوقد كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٢) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾(٣)

والحجز واحدتها حجزة، تقول: حجزة وحجز وحجزات، وهي معقد الإزار وحيث يثنى طرفه قال النابغة: [البحر الطويل]

رقاق النعال طيب حجزاتهم... يحيون بالريحان يوم السباسب

وقوله: " وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ " يقول: أحذركموها، وأصدكم عنها، وأرغبكم في الجنة ونعيمها، وأنتم في غفلة ساهون لا تشعرون، كما يقتحم الفراش النار وهو لا يشعر، لميلكم إلى الدنيا وزهرتها، وإيثاركم لها على ثواب الله تعالى وما عنده، الذي هو خير وأبقى، فهذه موعظة لبعض من أجابوا الدعوة، ويحتمل أن يكون وعيدا لمشركي قريش"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق) (باب الانتهاء عن المعاصي) (ح٦٤٨٣/٤/١٠٢).

(٢) سورة الانفال الآية (٢٤)

(٣) سورة البقرة الآية (١٧)

(٢) انظر أمثال الحديث للرامهرمزي، (ص:٤٩–٥٠).

قال الإمام البغوي رحمه الله:" اسْتَوْقَدَ ": أوقد، والفراش: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿كالفراش المبثوث ﴾[١]

والحُجَز: جمع حجزة السراويل، ويقال: فلان آخذ بحزته، أي بعنقه، ويقال: بحجزته"[٢].

قال ولي الدين أبو زرعة: "الْفَرَاشُ" بفتح الفاء قال المازَرِي قال الفراء هو: غوغاء الجراد الذي يفترش ويتراكم، وقال غيره: الذي يتساقط في النار والسراج، وقال القاضي عياض قال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، وقال غيره ما نراه كصغار البق يتهافت في النار، واقتصر النووي على نقل ما ذكره القاضي واقتصر القرطبي على نقل ما ذكره المازَري، ثم قال إن الثاني أشبه بما في الحديث (قلت أي: –ولي الدين–) وهو الذي ذكره صاحبا الصحاح والنهاية وقال في المحكم الفراش دواب مثل البعوض واحدتها فراشة والفراشة: الْخَفِيفُ الطَّيَّاشُ مِنْ الرِّجَالِ انتهى.

وقال علي القاري –رحمه الله– الفراش: دُوَيْبَةٌ، طير تتساقط في النار يقال بالفارسي بَرْوَانَهْ[٣].

قوله: " يَتَقَحَّمْنَ " بياء مثناة من تحت، ثم تاء مثناة من فوق، ثم قاف مفتوحة، ثم حاء مهملة مفتوحة مشددة والتقحم الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت ولا ترو.

قوله "بحُجَزكم" بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حجزة بضم الحاء وإسكان الجيم وهي: معقد الإزار والسراويل يقال تحاجز القوم أخذ بعضهم بحجزة بعض وإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذه بذلك الموضع منه.

قوله: "هَلُمَّ" بفتح الهاء وضم اللام وفتح الميم وتشديدها قال في الصحاح هو

---

(١) سورة القارعة الآية (٤)

(٣) انظر شرح السنة للإمام البغوي، (ح٩٨//١/١٩٧).

(٣)انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري (بالاعتصام بالكتاب والسنة)(١/٢٣٢).

بمعنى تعال[١].

بيان وجه التمثيل في هذا الحديث:

وهذا تمثيلٌ من أوجز الكلام وأبلغه وأشده اختصارا[٢]، فقد شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك بجهله وقال أبو العباس القرطبي، وهو مثلٌ لِاجتهاد نبينا – صلى الله عليه وسلم – في نجاتنا وحرصه على تخليصنا من المهلكات التي بين أيدينا لجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا، وقال القاضي أبو بكر بن العربي هذا مثلٌ غريبٌ كثير المعاني، المقصود منه أن الله ضرب مثلا لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية للدخول فيها وما نهى عنها وتوعد عليها وأنذرها وذكر ذلك فيها، ثم تغلب الشهوات على التقحم باسم أنها مصالح ومنافع، وهي نكتة الأمثال فإن الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلكة، وإنما يأتون باسم النجاة والمنفعة كالفراش يقتحم الضياء ليس لتهلك فيه، ولكنها تأنس به وهي لا تصبر بحال حتى قال بعضهم: إنها في ظلمة فتعتقد أن الضياء كوة فتستظهر فيها النور فتقصدها لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر وذلك هو الغالب من أحوال الخلق أو كله[٣].

الفوائد الدعوية المستفادة من هذا الحديث:

١. حرص الداعية على نجاة الخلق من الهلكة ودودهم عن الغي والضياع.

٢. تبصير الداعية الخلق بالخير والشر حتى أن يقعوا في الشر والمهلكات ومن أعظمها الشرك.

٣. كشف الداعية الشبهات والشهوات للناس وتوضيح الحق لهم حتى لا يقعوا في

---

(١) انظر طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي وابنه (٢٢٢/٨) بتصرف.

(٢)انظر أمثال الحديث (ص:٤٩).

(٢) انظر طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي وابنه (٢٢٢/٨) بتصرف.

ضده وهم يظنونه خيراً، وكما قال ابن مسعود وكم من مريد للخير لم يصبه.

الخاتمة:

تحتوي الخاتمة على ملخص الدراسة والنتائج والتوصيات.

الخاتمة:

استعان النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه بمهمة التبيين والبلاغ التي كلفه بها ربه عز وجل بشتى أساليب الايضاح والتعليم وفي الذروة من تلك الأساليب يأتي أسلوب ضرب المثل.

حيث يلعب أسلوب { ضرب الامثال} دورا عظيما في الدعوة والتربية والبيان بصفة عامة وفي ايضاح وتقريب العقيدة الاسلامية بصفة خاصة لما فيه من تقريب وتسهيل للمعاني الغير واضحة عن طريق المعاني المحسوسة والواضحة.

كما أن للأمثال دور واضح في غرس العقيدة خاصة وأن أسلوب ضرب الامثال يتفوق في تحقيق اهداف التعليم والتربية وغاياتهما بوجه عام والجوانب العقائدية بوجه خاص.

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة وتقريبها من العقل وتكوين صورة لهذا المعني في المخيلة وإظهار المعقول في صورة المحسوس حتى يكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى من الافكار المجردة وقد كثر الاعتماد في القرآن الكريم على هذا الاسلوب قال تعالى: وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿(١)﴾

ونوع الرسول صلى الله عليه وسلم في موضوع المثل والغرض الذي سيق لأجله .

ففي الحديث الأول حث الرسول على في هذا الحديث دلالة صريحة على أهمية العلم الشرعي وعظيم أثره، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه كالأرض التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب، ومن هنا سنقف من أهمية طلب العلم وفضائله وما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به ليكون كالأرض المذكورة، فينفع نفسه وأسرته ومجتمعه. ومن أهم ما خرجنا به من القضايا العظيمة التي أشار إليها الحديث:

(١) سورة الزمر الآية (٢٧)

* أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمةً للعالمين كافةً.
* وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على المؤمنين رؤوفاً رحيماً بهم.
* وأن الاستفادة من شريعته على قدر صلاح الإنسان، وطيب أصله، وشرف أرومته.
* وأن الناس من حيث استفادتهم على ثلاثة أنواع:

- النَّوْع الْأَوَّل مِن النَّاس؛ من يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلّمه غيره، فينتفع وينفع، وهؤلاء أعلا الناس منزلةً في الدنيا والآخرة.
- النَّوْع الثَّانِي مِن النَّاس؛ لهم قلوب حافظة، لكِن لَيست لهم أفهام ثَاقبة، ولا رسوخ لهم فِي العقل يستنبطون به المعاني والأَحْكام، ولَيس عندهم اجْتهادٌ فِي الطَّاعة والْعمل به، فهم يحْفظونه حتَّى يأتي طَالِبٌ محْتاج مُتَعَطِّشٌ لِما عندهم من الْعلم، أَهل للنَّفْع والانتفاع، فيأْخذه منهم، فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بِما بلغهم.
- النَّوْعُ الثَّالِثُ مِن النَّاس؛ ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم.

* وأن الأمثال لها تأثير بالغ على الإنسان، ويستفاد منها في أمور كثيرة: في التذكير، والنصح، والوعظ، والحث، والترغيب، والترهيب، والتربية، والتعليم، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، وغيرها.
* كما تعرفنا من خلال هذه العجالة السريعة على فَضْل الْعِلْم وَالتَّعْلِيم، وَشِدَّة الْحَثّ عَلَيْهِمَا، وبيان بعض الآداب والصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم، وَذَمّ الْإِعْرَاض عَن الْعِلْم.

وفي الحديث الثاني بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١) أن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين.
٢) حاجة البشر إلى بعثته صلى الله عليه وسلم لإكمال الرسالات وختم الشرائع.
٣) أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم ويتبين كذب كل من أدعى النبوة بعده.

٤) أن جميع الانبياء منارات الهدى جاءت بهدف واحد هو الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبودية.

٥) شبه الترابط بين جميع الرسالات البنيان الواحد.

في الحديث الثالث :

في هذا الحديث يبين الرسول مدى حرصه على الناس ومدي اختلاف الناس في استقبال نصحه لهم حيث يوضح صلى الله عليه وسلم أنه بعث لهم نذيرا حيث يضرب المثل على الحرص عليهم وصدق الرغبة في انقاذهم ، بجماعة خافوا جيشا من أعدائهم يباغتهم بالهجوم عليهم فجاءهم نذير رأي الجيش وقد أقبل يريد غزوهم ويريد أن يفاجئهم فمن قومه من صدق النذير فاستعد لأمر عدوه ومنهم من لم يحفل بصياح النذير ولم يهتم بتحذيره فبقوا في غفلتهم حتى تمكن العدو منهم فأهلكهم قتلا وأسراً.

وهكذا حال الناس مع رسالة الحق التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من اهتم بنصحه ومنهم من أعرض عنه.

وفي الحديث الرابع : حاصله أنه شبه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سببا في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعا لشهواتها.

ومقصود الحديث هنا أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في النار نتيجة لحرصهم على الوقوع فيها بالرغم من منعه اياهم.

ملخص الدراسة:

إن الدعوة إلى الله سبحانه شرف عظيم لا ينال بالدعة والراحة والخلود إلى الرخاء! لكنه ينال بالعلم النافع والعمل الصالح، والاتباع الدقيق، والوعي العميق، هذا كله محوط برقة في الأسلوب، ولين في الوعظ.

وقد تناول هذا البحث جملة من المسائل والضوابط فيما يتعلق بالوسائل وضوابطها، والفرق بين الوسائل والأساليب وكلام العلماء فيها وحكم الوسائل وما يتعلق بأهمية الوسيلة في حياة الداعية، وكيفية التعامل معها وفق الشروط والضوابط التي سلف ذكرها في محلها، وكذلك ما يتعلق بالمثل كوسيلة نبوية ضربها النبي صلى الله عليه وسلم لتقريب الفهم للغير بما هو معروف عندهم في حياتهم اليومية وغير ذلك، مع ضرب نماذج من الأمثال النبوية الصحيحة وما فيها من المعاني والفوائد الدعوية، كما هو في موضعه من البحث.

النتائج والتوصيات :

النتائج:

١) للأمثال أثر بليغ في تبليغ الدعوى وتلقيها بالقبول. حيث تعتمد على تقريب المعاني الغيبية للمخاطبين.

٢) أن الأمثال وسيلة ممتازة لإثارة العقل لما فيها من تشبيه وقياس. ومتعلقة بوسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ضربها الله في كتابه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته. وأهمية معرفة واستخدام الدعاة لها. لبيانها الأسس والمصادر التي تنبني عليها الدعوة الصحيحة.

٣) كثير من الناس له رصيد معرفي ولكنهم يملون ويبتعدون عن المواعظ ولا يؤثر المنطق في تغيير قناعتهم بشكل كبير بينما يؤثر فيهم المثل والمتأمل في الأمثال القرآنية يجد فيها دلالة عقلية للإيمان والتوحيد لذا حظيت باهتمام كبير من الدعاة المسلمين.

٤) الامثال مضروبة للإيمان بالله والبعث والحساب وليست مجرد أمثالا للتسلية والترفيه.

٥) ملاءمة الأمثال للطباع البشرية من حيث الترهيب والترغيب.

٦) توافق المثل مع الفترة الزمنية التي يذكر فيها نلاحظ ذلك حيث اعتمد الرسول على اسلوب النذير في المثل في فترة الدعوة في مكة وهنا اقتصر على جانب الانذار دون جانب التبشير لمناسبته للمرحلة الزمنية آنذاك.

٧) أن للأمثال أثرا واضحا في تأنيس النفس وسرعة قبولها واستحضارها. لأن الأمثاللها خاصية شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته.

٨) الأمثال من الحكمة ومن الموعظة الحسنة ومن جوامع الكلم موفر للوقت والجهد لسهولة إقامة الحجة وإيراد نماذج تطبيقية لضرب الأمثال من السنة النبوية، والفوائد الدعوية المستنبطة.

التوصيات:

نتائج فوائد الأمثال في الدعوة إلى الله تعالى تبين أن موضوع الأمثال في حاجة إلى المزيد من البحث المتعمق وخاصة تلك المتعلقة بالالتزام بما جاءت به السنة المطهرة لذلك يختتم البحث بمجموعة من التوصيات التي قد تعني العاملين بمجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى :

١) ضرورة الاهتمام وتنمية البحث حول الامثال وجمعها من القرآن والسنة.

٢) الاهتمام بدراسات تفصيلية لخصائص الأمثال من حيث كونها أحد أفضل الوسائل للتربية الدعوية .

٣) عمل دراسات مقارنة بالمدلولات المختلفة للأمثال في مختلف الاديان السماوية لتقريب فكرة وحدة العقيدة والمنهج الإلهي.

٤) ترجمة ونشر البحوث والأمثال التي أُعدت من أجل الدعوة إلى الله وعدم قسرها على اللغة العربية فقط.

٥) اعتماد مناهج تدرس بمختلف المراحل التعليمية عن موضوع الأمثال القرآنية والأمثال من السنة النبوية.

وفي الختام نسأل الله تعالى التوفيق والسداد والنفع في الدارين بما كتبت وقررت وأن يجعله سبحانه خالصا صوابا.

والله الموفق